

Spiritual Progress

by H. P. Blavatsky

التقدم الروحي

هيلينا بتروفنا بلافاتسكي

خطوط كريستينا روسيتي المشهورة:

"هل يصعد الدرب على طول الطريق؟ نعم، حتى
النهاية. هل تستغرق الرحلة كل اليوم الطويل؟ من
الصباح إلى الليل، يا صديقي".

هي مثل ملخص لحياة أولئك الذين يسرون حقاً على
الطريق المؤدي إلى أشياء أعلى.

ومهما تكن الاختلافات بين العروض المختلفة للعقيدة
الباطنية، فقد ارتدت في كل عصر ثوباً جديداً من اللون
والملمس يختلف عن تلك التي سبقتها. ومع ذلك، نجد
في كل منها الاتفاق الأكثر اكتمالاً على نقطة واحدة:
طريق التطور الروحي.

هناك قاعدة واحدة غير مرنة كانت ملزمة بشكل دائم
للمبتدئ، كما هي الآن:

الإخضاع الكامل للطبيعة السفلية من قبل العليا. ابحثوا
بدءاً من الفيذا والأوبنشاد إلى "نور على الدرب" الذي
نُشر مؤخراً وكذلك ابحثوا أيضاً في الكتب المقدسة لكل
جنس بشري ولكل عبادة، فلن تجدوا إلا وسيلة واحدة
فقط - صعبة، مؤلمة، مزعجة - يمكن من خلالها للبشر
اكتساب البصيرة الروحية الحقيقية.

وكيف يمكن أن يكون الأمر خلاف ذلك طالما أن جميع الأديان والفلسفات ليست سوى أشكال مختلفة من التعاليم الأولى للحكمة الوحيدة، التي تم إيصالها إلى البشر في بداية الدورة الكونية بواسطة الروح الكوكبية؟

الحكيم الحقيقي، الإنسان المتطور، يجب - وقلنا ذلك دائماً - أن يصبح حكيم - ولا يمكن عمله¹. لذلك فهي عملية نمو تطويرية، مما يعني بالضرورة وجود بعض الألم، والسبب الرئيسي للألم يكمن في بحثنا الأبدي عن الدائم² في غير الدائم³، وليس فقط في البحث، بل أيضاً في تصرفنا كما لو أننا قد وجدنا بالفعل ما لا يمكن تغييره في عالم يمكننا أن نتنبأ به وهو التغيير المستمر، ودائماً، في الطريقة التي نعتقد أننا أمسكنا بها بحزم "الدائم"، وهذا يتغير في متناول أيدينا وينتج عنه الألم.

مرة ثانية نقول، تتضمن فكرة النمو أيضاً فكرة التمزق والانقطاع: يجب أن ينفجر الكائن الداخلي باستمرار من خلال قوقعته أو غلافه، ويجب أن يكون مثل هذا

أي لا يُخلق الإنسان حكيم ولا يمكن صنع حكيم نظير صنع أداة ما، بل¹ ينبغي عليه هو نفسه أن يبذل الجهود ليصبح حكيم.

المطلق الثابت.²

عالمنا المتغير بشكل دائم.³

الانقطاع أيضاً مصحوباً بالألم، وليس بدنياً، بل عقلياً وفكرياً.

وهذا هو الحال، في حيوياتنا. المشاكل التي تحدث لنا هي دائماً تلك المشاكل التي نعتبرها الأكثر صعوبة التي يمكن أن تحدث - وهذا لا يزال الشيء الوحيد الذي نشعر أنه من المستحيل تحمله. إذا فحصنا الموقف من وجهة نظر أكثر عمومية، فسندري أننا نحاول عبور قوقعتنا إلى نقطة ضعفها، وأن نمونا، لكي يكون حقيقياً، وليس نتيجة جماعية لسلسلة من المبالغات يجب أن يتقدم بشكل موحد، بنفس الطريقة التي ينمو بها جسد الطفل، وليس أولاً وقبل كل شيء الرأس، ثم اليد، تليها ساق واحدة، وفي جميع الاتجاهات وفي وقت واحد، بشكل منتظم وغير محسوس.

يميل الإنسان إلى تنمية كل جزء على حدة، ويهمل باقي الأجزاء، في هذه الأثناء، تظهر كل الآلام الساحقة الناتجة عن توسع جزء مهمّل، والذي أصبح أكثر صعوبة بسبب نتائج النمو في أماكن ثانية.

غالبًا ما يكون الشر نتيجة للقلق المفرط ويحاول البشر دائماً فعل الكثير، فهم لا يكتفون فقط بالذهاب وحدهم وبالعامل بشكل دائم بما تتطلبه هذه المناسبة وليس

أكثر، بل انهم يببالغون في كل عمل، وبالتالي يخلقون كارما لتتحقق في ولادة جديدة بالمستقبل.

أحد أكثر أشكال هذا الشر شفافية هو الأمل والرغبة في المكافأة.

لا يزال هناك الكثيرون، وغالباً حتى من دون وعي الذين يفسدون كل جهودهم من خلال الحفاظ على فكرة المكافأة والسماح لها بأن تصبح عاملاً فعالاً ونشطاً في حياتهم، مما يترك الباب مفتوحاً للقلق والشك ومنه للخوف، وإلى اليأس - ومن ثم إلى الفشل.

هدف المتوق إلى الحكمة الروحية هو الدخول إلى مستوى أعلى من الوجود، يجب أن يصبح إنساناً جديداً، أكثر كمالاً في جميع النواحي مما هو عليه الآن، وإذا نجح، ستستفيد قدراته وإمكانياته من زيادة مقابلة في القدرة والطاقة، كما هو الحال في العالم المرئي. تتميز كل خطوة من السلم التطوري بزيادة القدرة. هذه هي الطريقة التي يُمنح بها الحكيم قوى رائعة تم وصفها في كثير من الأحيان، ولكن النقطة الرئيسية التي يجب تذكرها هي أن هذه القوى هي النتيجة المرافقة الطبيعية للوجود على مستوى أعلى من التطور، تماماً مثل الإنسان العادي. فالقدرات هي

المرافقة الطبيعية للوجود على متن المستوى البشري العادي.

يبدو أن الكثير من الناس يعتقدون أن درجة الحكيم ليست نتيجة للتطور الجذري، بل نتيجة لصياغة إضافية. يبدو أنهم يتخيلون أن "الحكيم" هو إنسان من خلال اجتيازه برنامج تدريبي محدد بوضوح والذي يتكون من مراقبة دقيقة لمجموعة من القواعد التعسفية، يكتسب أولاً قوة ثم قوة ثانية، وعندما يحقق عدداً معيناً من هذه الطاقات، يُطلق عليه فوراً اسم حكيم.

وهم مسلحون بهذه الفكرة الخاطئة، يعتقدون أن أول ما يجب فعله ليصبحوا حكماء هو اكتساب "الطاقات" فالاستبصار والقوة على ترك الجسد المادي والسفر عن بُعد، هي لهم جزء مما هو من أكثر الأشياء روعة.

بالنسبة لأولئك الذين يرغبون في الحصول على هذه الطاقات لمصلحتهم الخاصة، ليس لدينا ما نقوله، فهم يقعون تحت إيدان جميع أولئك الذين يتصرفون من أجل غايات أنانية بحتة. لكن هناك آخرون، الذين يعتبرون النتيجة بأنها سبب، ويعتقدون بصدق أن اكتساب قوى غير طبيعية هو السبيل الوحيد للتقدم الروحي.

يعتبر هؤلاء أن جمعيتنا هي الطريقة الأسرع لتمكينهم من اكتساب المعرفة بهذا المعنى، معتبرين أنها نوع من أكاديمية للغيبيات، وهي مؤسسة تم إنشاؤها لتوفير التدريبات لتشكيل ما يُسمى بصانعي المعجزات.

على الرغم من الاحتجاجات والتحذيرات المتكررة هناك عقول يبدو فيها هذا المفهوم ثابتاً بشكل دائم، وهم صاخبون بسبب خيبة أمل عندما يكتشفون أن ما قيل لهم من قبل هو صحيح تماماً، وهو أن الجمعية تأسست لكي لا تُعلم أية وسيلة جديدة وسهلة لاكتساب "القوى"، وأن رسالتها الوحيدة هي إشعال شعلة الحقيقة، التي أطفأت لفترة طويلة عن الجميع تقريباً وكذلك الحفاظ على هذه الحقيقة حية من خلال تشكيل اتحاد أخوي للبشرية، وهذه هي التربة الوحيدة التي يمكن للبذار الصالحة أن تنمو فيها.

من المؤكد أن الجمعية النيوصوفية ترغب في تعزيز النمو الروحي لجميع الأفراد الخاضعين لنفوذها، ولكن أساليبها هي تلك الخاصة بالريشيين القدامى، ومبادئها هي تلك الخاصة بأقدم المدارس الإيزوتيرية الباطنية إنها ليست أدوية مع تكوينات سرية تتألف من علاجات عنيفة لا يجرؤ أي تاجر أمين على استخدامها.

في هذا الصدد، نود أن نحذر جميع أعضائنا، وجميع أولئك الذين يسعون إلى المعرفة الروحية، أن يكونوا حذرين من أولئك الذين يعرضون عليهم تعليمهم أساليب بسيطة لاكتساب المواهب النفسية، هذه المواهب (لوكيكا)⁴ هي في الواقع من السهل الحصول عليها بشكل اصطناعي، لكنها تختفي بمجرد استنفاد الحافز العصبي.

أما الرؤية الحقيقية ذات درجة الحكماء التي تأتي مع تطور نفسي حقيقي (لوكوثرأ)⁵، بمجرد تحقيقها، فهي لا تضيع أبداً.

يبدو أن جمعيات مختلفة قد نشأت منذ تأسيس الجمعية النيوصوفية، مستفيدة من الاهتمام الذي أثاره البحث النفسي والسعي للفوز بالأعضاء عن طريق وعدهم بالاكْتساب السهل للقوى النفسية. في الهند، نعرف منذ فترة طويلة وجود العديد من الزهاد الوهميين من جميع الأوصاف ونخشى أن يكون هناك خطر جديد في هذا الاتجاه هنا، وكذلك في أوروبا وأمريكا.

لوكيكا (بالسنسكريتية): الدنيوية والزمانية.⁴

لوكوثرأ أو لوكوتارا (بالسنسكريتية): التفوق أو ما يتجاوز العالم.⁵

نأمل فقط ألا يسمح أي من أعضائنا، الذين أذهلتهم
الوعود الرائعة، بأن يتم التلاعب بهم من قبل حالمين
أنانيين، أو ربما من مخادعين عن عمد.

لإظهار أن الاحتجاجات والتحذيرات هي ضرورية فعلاً
فإنه تجدر الإشارة إلى أننا رأينا مؤخراً في رسالة من
بيناريس⁶، نسخاً من إعلان نشره ما يُسمى زوراً
"مهاتما". يستدعي "ثمانية رجال ونساء يعرفون
اللغة الإنجليزية جيداً وأي لغة هندية عامية"، ويختتم
بالقول إن "أولئك الذين يرغبون في معرفة تفاصيل
العمل ومقدار الأجر" يجب أن يرسلوه على عنوانه مع
إرفاق طوابع البريد!

على الطاولة التي أمامنا، يوجد إعادة طباعة "المتون
الإلهية"، التي نُشرت في إنكلترا العام الماضي، والتي
تحتوي على ملاحظة لفتت انتباه "الثيوصوفيين الذين
ربما قد خاب أملهم بتوقعاتهم بشأن التوزيع المجاني
للحكمة السامية من قبل المهاتما الهندوس" بدعوتهم
بحرارة إلى إرسال أسمائهم إلى الناشر، الذي سيراهم
"بعد فترة قصيرة من المراقبة"، يتم بعدها قبولهم في
"أخوية باطنية" "تعلم بحرية وبدون تحفظ أي شيء

مقاطعة في الهند. 6

يرونه مناسباً لتلقيه". من الغريب أننا نجد في المجلد نفسه سؤال لهرمس الثلاثي العظمة يقول:

هذا هو السبيل الوحيد الذي يؤدي إلى الحقيقة، التي سلكها حتماً أجدادنا والذي من خلاله توصلوا إلى تحقيق الخير. هذا المسار جميل، وحتى مع ذلك، فإنه من الصعب على الروح أن تمشي فيه مادامت مغمورة في سجن الجسد. . . لذلك، ابتعد عن الحشود بحيث عن طريق الجهل، يبقى المبتدلة في حدود، حتى لو كان خوفاً من المجهول.

صحيح تماماً أن بعض الثيوصوفيين كانوا (بسبب خطأهم وحدهم) مصابون بخيبة أمل شديدة، لأننا لم نعرض عليهم موجزاً عن اليوغا فيديا، والبعض الآخر كان يريد عملاً تطبيقياً.

وما هو ذو مغزى بدرجة كافية، هو أن أولئك الذين لم يفعلوا إلا الأقل للجمعية، هم أولئك الذين يجهدون أكثر لإيجاد الأخطاء فيها. الآن، لماذا هؤلاء الناس وجميع أعضائنا القادرين على القيام بذلك لا يشرعون في دراسة جادة للمسمرية؟

سميت "المسمرية" بمفتاح العلوم الغيبية الخفية⁷ وتتمتع بميزة أنها توفر فرصاً خاصة لفعل الخير للبشرية. إذا استطعنا، في كل فرع من فروعنا، إنشاء مستوصف المعالجة الصحية مع إضافة قسم للشفاء المغناطيسي - كما تم بالفعل عمل ذلك بنجاح كبير في بومباي - فإنه يمكننا المساعدة في توفير أساس أكثر صلابة لعلم الطب في هذا البلد ويكون وسيلة لفائدة لا تُحصى للجمهور العام.

لقد قامت بعض فروعنا، إلى جانب فرع بومباي، بعمل جيد في هذا الاتجاه، ولكن لا يزال هناك الكثير من العمل الذي يتعين القيام به للقيام بما هو أكثر مما لم يتم محاولته. الشيء نفسه ينطبق على الإدارات المختلفة للجمعية. سيكون من الجيد لأعضاء كل فرع أن يجتمعوا ويتشاوروا مع بعضهم البعض بجدية لمعرفة الخطوات العملية التي يمكنهم اتخاذها لتعزيز الأهداف المعلنة للجمعية ونشرها. غالباً ما يكفي أعضاء الجمعية الثيوصوفية بدراسة سطحية إلى حد

العلم الغيبي، "في الثيوصوفيا، هو العلم الذي يدرس الجوانب⁷ الأساسية للكون التي تكون مخفية عن الحواس الخارجية الخمسة. لا علاقة لعلم الغيبيات باستخدام "القوى النفسية" بالمعنى التقليدي. إنه لا ينفصل عن الإثارة والتزام الفرد بسعادة جميع الكائنات.

ما لكتبها، دون تقديم أي مساهمة حقيقية في عملها
النشط.

إذا أرادت الجمعية أن تكون قوة من أجل الخير في هذا
البلد وغيره، فلا يمكنها تحقيق هذه النتيجة إلا من
خلال التعاون النشط من جانب كل عضو من أعضائها
وسنناشد بصدق كل واحد منهم لكي يدرس بعناية
إمكانات العمل في قوته، ثم يتعهد بجدية لتحقيقها.

التفكير الجيد هو شيء جيد، لكن التفكير وحده لا يتم
أخذه بالاعتبار كثيراً إذا لم يتم ترجمته إلى أفعال.

لا يمكن لأي عضو في المجتمع ألا يستطيع فعل شيء
لمساعدة قضية الحقيقة والأخوية العالمية، ذلك يعتمد
فقط على إرادة الفرد، لفعل شيء وإنجازه فعلياً.

قبل كل شيء، نود أن نعيد التأكيد على حقيقة أن
الجمعية ليست حضانة للحكام للمبتدئين، لا يمكن
للمعلمين الانتقال لإعطاء تعليمات لمختلف الفروع
حول الموضوعات المختلفة التي تدخل في أعمال
الأبحاث في الجمعية، يجب على الفروع أن تدرسها
لأنفسها، يجب امتلاك الكتب والمعارف المكتسبة ويجب
تطبيقها عملياً من قبل مختلف الأعضاء: وبهذه
الطريقة سيتم تطوير قدرة الإدارة الذاتية والتفكير.
ونحن نطلب ذلك بحماس. بمجرد تلقينا للمكالمات، فإنه

يجب أن يكون جميع المحاضرين الذين يتم إرسالهم إلى الفروع على دراية عملياً بعلم النفس التجريبي والاستبصار (أي النظر إلى المرايا السحرية وقراءة المستقبل، وما إلى ذلك). نعتقد الآن أن هذه التجارب يجب أن يكون لها أصل بين الأعضاء أنفسهم، في تنمية الفرد أو تمكينه من التقدم على طريقه "الصعب" وبالتالي نحث أعضائنا على المحاولة بأنفسهم.